

فلسفة المناهج بين الفهم وضرورة التوظيف

The Philosophy of methods, Between understanding and The necessity of use

الباحثة: حنان برقرق¹

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسنطينة (الجزائر) - [hanane.beregrag@univ-constantine2.dz]

المشرفة: أ.د. فاطمي فتيحة²

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسنطينة (الجزائر) - [fatiha.fatmi@univ-constantine2.dz]

تاريخ النشر: 2021/06/30

تاريخ القبول: 2021/05/30

تاريخ الاستلام: 2021/01/17

ملخص باللغة العربية:

شقت العلوم الاجتماعية طريقها بانفصالها عن الفلسفة، مؤسسة بذلك صرح (علميتها)، متخذة من المفاهيم، النظريات والمناهج دعائم لها، إلا أن هذه الاستقلالية كانت مؤقتة، إذ لم تلبث أن عادت هذه العلوم من جديد إلى الفلسفة، حيث ينفذ الطرح الفلسفي من معابر الإبيستيمولوجيا، والميتودولوجيا.

إذا تتوخى هذه المقالة مساءلة واقع فلسفة المناهج في العلوم الاجتماعية، ومدى توظيفها، فالاشتغال حول المسائل الاجتماعية باعتبارها علوماً -نسبية/معيارية- كان ولا زال يحمل الرؤية والبعاد الفلسفي كما يذهب في ذلك فليب فرانك، دومينيك فينك، صلاح قنصوة ويمنى طريف الخولي... وغيرهم. فما المقصود بفلسفة المناهج؟ ما مدى استجابة العلوم الاجتماعية للتأطير الفلسفي؟ وما هي المكاسب العلمية المتوقعة من تسرب فلسفة المناهج إلى العلوم الاجتماعية؟.

سنحاول طرح مقاربتنا حول هذا الموضوع وفق منظورين الأول: تقديم مقدمات تعريفية لما نعنيه بفلسفة المناهج والمفاهيم المتاخمة لها، وفي مرحلة ثانية نشرح واقع فلسفة المناهج في العلوم الاجتماعية وضرورة توظيفها.

¹-دكتور باحث، في الفلسفة (إبيستيمولوجيا: بيواتيقا)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، مخبر الفلسفة الفيلا، القيروان، تونس، البريد الإلكتروني: [abdelwahebkattat@yahoo.fr].

²-دكتور باحث، في الفلسفة (إبيستيمولوجيا: بيواتيقا)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس، مخبر الفلسفة الفيلا، القيروان، تونس، البريد الإلكتروني: [abdelwahebkattat@yahoo.fr].

كلمات مفتاحية: فلسفة المناهج؛ العلوم الاجتماعية؛ الاستيمولوجيا؛ علم اجتماع المعرفة؛ فلسفة العلوم.

Abstract:

Social sciences made their way through their separation from philosophy, and establishing a (scientific) basis, by defining its concepts, theories and methods as their pillars. However, this independence was temporary, and this sciences returned to philosophy, where the philosophical vision through from the epistemological , And metodological approach.

If this article we seeks to question the reality of philosophy of method in social sciences, and the extent use, working on social sciences issues – which are relative / normative one - was and still holds the vision and philosophical dimension goes in the case of Philip Frank, Dominique Fink, Salah Qanswa and Yemna Tarif al-Kholi .. And others.

What is the philosophy of the methods? does the social science response to philosophical framing? What are the expected scientific gains from the use of philosophy of methods in social sciences?

We will try to our approach on this subject according to two perspectives first; provide an introductory introductions to what we mean by the philosophy of methods and concepts adjacent to it, in a second phase explain the reality of the philosophy of methods in social sciences and the need to employ them.

Keywords: Philosophy Of methods, Social Sciences, Epistemology, Sociology of knowledge, Philosophy of Science.

مقدمة:

تُعد المناهج إحدى الإجراءات المهمة والفعالة لتطوير المعارف والعلوم وحتى الفنون، كما تعتبر الأرضية والمرتكز الذي يتوقف عليه الاعتماد والقبول العلمي لأي فرع من الفروع، هذا ما حدا بالفلاسفة والعلماء على السواء إلى ابتكار مناهج عديدة ومتنوعة. ولما كانت البُنى العلمية آخذة في الاتساع والتكوثر، فرض علينا هذا المنطق استحداث منهجيات جديدة تُلائم طموحات هذه العلوم، وتلاحقها في المباحثة والاستقصاء، ومهما كان موضوع البحث، فإن قيمة النتائج تتوقف على قيمة المناهج المستخدمة.

إن فلسفة المناهج أو (الميتودولوجيا) مجال في غاية الأهمية ظهر ليكون الحلقة الواصلة بين العلوم والمناهج حيث تُسائل فلسفة المناهج الطرق والتقنيات والمنهجيات المُوظفة عند معالجة المواضيع

العلمية، وتنتقد جوانب القصور فيها من خلال الاستعانة بمبحث آخر هو الابستمولوجيا، ولما كانت فلسفة العلوم هي الإطار الكلي الذي اندرجت تحت عباءته فلسفة المناهج، فإن هذا يُلزمنا أن نقطع تعاطينا البسيط الذي يعتبر الفلسفة كلام على كلام، أو ثرثرة عابرة، ولا تتعلق وكما ذهب في ذلك "ياسبرز" بتعليم شيء يصبح بعد ذلك معروفا وإنما « تتعلق بإتباع مسيرة الفكر على أمل أن نصل إلى الفهم، فلا يكفي أن تُحيط الفلسفة بنتائج التأمّلات، بل مقارنتها بالطرائق التي أوصلتنا إليها » (الظاهر وعزيز، 1990، ص.14) فالتلقين المجرد والقبول السلبي، من دون مساءلة وتفلسف يصبح مجرد اجتزار وتكرار.

إذا تأتي عُدة الميتودولوجيا لتضع العلوم ومناهجها على محك النقد، فتبحث في الطرق والتقنيات التي أفرزت النتائج بصورة ما، ولعل غياب الطرح الابستمولوجي والميتودولوجي من على ساحة العلوم الاجتماعية زاد من تراجعها ونسبية قوانينها وضعف نتائجها مقارنة بالعلوم الطبيعية.

فما المقصود بالفلسفة، فلسفة المناهج، والابستمولوجيا؟ ما مدى استجابة العلوم الاجتماعية للتأطير الفلسفي؟ وما هي المكاسب العلمية المتوقعة من تسرب فلسفة المناهج إلى العلوم الاجتماعية؟

سنحاول وعلى مدار هذه الورقة البحثية تقديم مقارنة ابستمولوجية حول فلسفة المناهج، وأفاق فهمنا لها على اعتبارها مبحث لازال يُعاني الانفلات المصطلحي، وكذا ضرورة توظيفها لخدمة العلوم الاجتماعية، وقد اقترحنا أن نبتدئ مقاربتنا هذه؛ بضبط مفاهيمي لما نعنيه بالميتودولوجيا، الابستمولوجيا وغيرها من المفاهيم، لننتقل بعد ذلك إلى تبيان واقع فلسفة المناهج في العلوم الاجتماعية، ونعرج في النهاية إلى الدعوة إلى استخدام مبحث الميتودولوجيا في السياقات والدراسات الاجتماعية إثراء ومراجعة إبستمية، وكذا للاستفادة من مكاسب الميتودولوجيا، وفق منهج تحليلي نقدي.

1/ الفلسفة، والمنهج، وفلسفة المناهج مقاربات مفاهيمية:

تُثير كلمة "فلسفة" متاهات فكرية وحيرة ما إن يُتلفظ بها، فقد يتوجس منها الإنسان العادي لأنه يرى فيها نموذج التعقيد، وقد يتجنّبها الطلاب في بداياتهم ويعتبرونها ذلك المجال المعرفي الذي تكثّر فيه الثثرة والأقوال والتصورات، إلا أن سبب غموضها في واقع الأمر يرجع إلى اختلاف التصوّرات والرؤى عند تعريفها، وعدم إجماع الفلاسفة على تحديد ماهيتها منذ القديم وحتى الآن، إذ أن كل تصوّر معطى ينطلق من نسق الفيلسوف وتوجهه، هذا ما يجعل معالجته تتسم بالنظرة الجزئية، وكل تعريف لا يُغطي إلا زاوية محددة.

إن الفلسفة* philosophie في معناها العام كلمة لاتينية الأصل، تتألف من مقطعين وهما « (philos) ami (sophia) sagesse » (Paul Foulquie , 1962, p.539) وتعنيان على التوالي : (فيلوس)

* Ridiculum acri, La petite Encyclopédie, ou dictionnaire des philosophes, Jean Gasbeck Imprimeur Libraire, P.149

محبة/ حب / صديق ، و(صوفيا) الحكمة، وبجمعهما نحصل على محبة أو حب أو صديق الحكمة، ويُعد "فيثاغورس" ** واضعها حيث قال مرة: «لست حكيما، فإن الحكمة لا تُضاف لغير الآلهة، وما أنا إلا فيلسوف أي محب للحكمة» (يوسف كرم، 2014، ص.36) ، وقد نُقلت إلى اللغة العربية في عهد المأمون الذي « حلم أن أرسطو طلب منه نقل الكتب الفلسفية إلى العربية، فاتجه النقلة إلى الترجمة من السريانية إلى العربية ثم من اليونانية إلى العربية مباشرة» (محمد علي أبو الريان، 2015، ص.27) فدخلت الفلسفة العالم الإسلامي وتعربت.

عرّف أرسطو الفلسفة بكونها « علم الموجود من حيث هو موجود، وهي علم الشروط القَبْلِيَّة للوجود والحقيقة» (أندريه لالاند، 2001، ص.982) في حين كان تصوّر "الكندي" حولها أنها « أعلى الصناعات الإنسانية منزلة، وأشرفها مرتبة، حدها: " علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، لأن غاية الفيلسوف في علمه إصابة الحق وفي عمله العمل بالحق» (جلال الدين سعيد، 2004، ص.338) أما بحسب الفيلسوف المنطقي "فتغنشتاين" «فالغاية من الفلسفة هي التوضيح المنطقي للفكر. وليست الفلسفة مذهبا وإنما هي نشاط، ليتمثل العمل الفلسفي في تقديم إيضاحات» (جلال الدين سعيد، 2004، ص.343) إن الملاحظ مما تقدم من هذه التعاريف، اختلاف وتباين التصورات من مفهوم الفلسفة الذي يحمل جوانب يصعب حصرها في رؤية ما، وبالرغم من أن هدفنا ليس تجميع تعاريف للفلسفة إلا أن المسعى هو تأكيد تلك الاختلافات والفروقات التي تُلاحق كلمة فلسفة حينما نحاول الإجابة عن سؤال ما هي الفلسفة؟ وكما لاحظنا ذلك، فإن كل فيلسوف يقدم صورة وإطار ينطلق من نسقه ومذهبه.

إن الحديث عن المنهج*، عرف هو الآخر فوضى مزدوجة؛ على مستوى التسمية (الاصطلاح) وكذا على مستوى التوظيف؛ تقول "مادلين غراويتز": «لا نستطيع إلا أن نندهش من الفوضى التي لا حدود لها في هذا الميدان» (مادلين غراويتز، 1993، ص.9) وتشير إلى المنهج؛ إن المشكلة في الأساس بحسب "غراويتز" متعلقة بمفاهيمنا المغلوطة عما نسميه منهج؛ وهذا ما جعلها تقترح ضوابط محددة ميّزت من خلالها بين ثلاثة مفاهيم: المنهج، التقنية، المقاربة، تقول: «المنهج بالمعنى الفلسفي: يتكون من مجموع

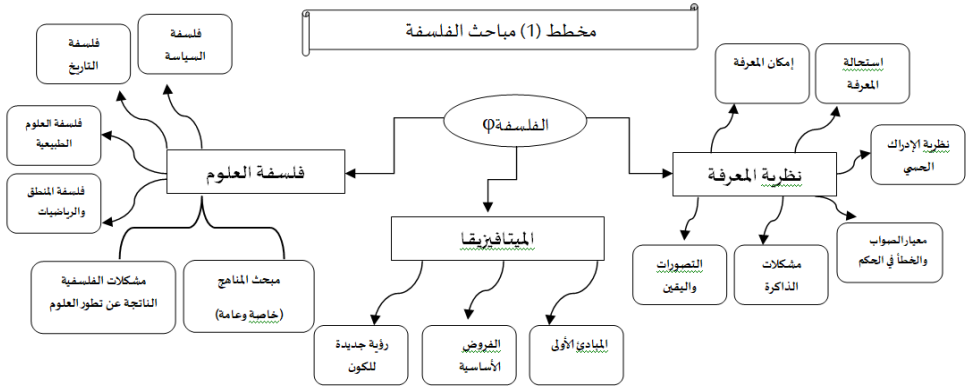
** بروتاغوراس (572 ق.م)، عالم وطبيب وروحاني، مشرع، ورجل نبيل (من الطبقة الأوليغاركية)، ممرض، وفيلسوف، (يعد بروتاغوراس في حقيقة الأمر: واضع ومخترع كلمة الفلسفة في حد ذاتها)، ويكون أبو العقلانية اليونانية أنظر: pythagoras and his theorem, pannelli
pitagora inglese.doc, on: https://php.math.unifi.it/archimede/archimede/traduzioni-multilingue/pitagora/pannelli_inglese.pdf, 14/09/2019, 17:11PM

* المنهج: في اللغة من النهج هو الطريق، والمنهاج الطريق الواضح، أما في الاصطلاح فقد كان أرسطو يرى في المنهج (أنه صناعة نظرية تعرفنا الحد الصحيح الذي يسمى بالحقيقة حدا واي القياسات برهانا)، وعند فرانسيس بيكون تمت صياغة قواعد المنهج التجريبي في كتابه الأورغانون الجديد، وتمثلت عند رينيه ديكارت محاولة الكشف عن المنهج المؤدي إلى حسن السير بالعقل للوصول إلى الحقيقة، وجعل منطقة بور رويال حيث جعلوه قسما رابعا من منطقهم وحدّوه بأنه (فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة)، ويرى عبد الرحمن بدوي أن القرن السابع عشر يكون قد شهد بداية تكون المنهج الاستدلالي والتجريبي. أنظر: ستار جبر حمود الاعرجي، مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، سلسلة بيت الحكمة العراقي، العراق، ط1، 2008، ع8، ص.23، 22.

العمليات الفكرية التي يسعى اختصاص بها إلى بلوغ الحقائق التي يتابعها ويثبتها ويتحقق منها » (مادلين غراويتز، 1993، ص.9). فالمنهج الفلسفي عبارة عن رؤية أو تصوّر فلسفي مؤداه بلوغ حقيقة ما بإتباع خطوات محددة.

أما التقنية أو «التقنيات les techniques فاللغة الدارجة تميل إلى استعمال المصطلحين (منهج/ تقنية) دون تمييز، إلا أن طبيعة البحث في العلوم عامة توجب استعمال طرائق إجرائية دقيقة قابلة للتطبيق ملائمة لنوع المشكلة، وهذه هي التقنيات، كما أن التقنية مثل المنهج، جواب كيف؟ ولكنها تأخذ مكانها على مستوى الوقائع أو المراحل العملية» (مادلين غراويتز، 1993، ص.10) فإذا كانت وظيفة المنهج الإجابة عن سؤال كيف نظريا فالتقنية تطرح نفس السؤال لكن في الجانب التطبيقي (العملي)، لهذا تعتبر التقنية جزءا تابعا للمنهج لهذا يخلط بينهما.

وفيما يخص المقاربة Approche فقد عرفها "موريس أنجرس" كالتالي: « Approche (التناول) قد يُقال عن باحث ما إن له تناولا ماركسيا مما يدل على أنه يستلهم من كارل ماركس وأتباعه الذين قاموا من بعده بتطوير نظريته، والتناول لا يعني إتباع الباحث حرفيا للنظرية المسترشد بها، بل الأصح أن نقول أن يستقي منها أكثر مما يستقي من غيرها» (مورس أنجرس، 2006، ص.99) في حين اعتبرتها "مادلين غراويتز" «خطوة فكرية، وموقف ينطوي على المرونة والحذر ويتطلب يقظة كبيرة للحدث» (مادلين غراويتز، 1993، ص.10) ولهذا تتميز المقاربة بكونها مزيجا من المنهج (نظريا) والتقنية (عمليا) وهذا المزيج يوظف لدراسة موضوعات معينة.



بعدما حددنا المقصود من الفلسفة، والمنهج والمفاهيم المتاخمة (القريبة) منها، سنحاول تقديم تعريف لفلسفة المناهج ولا يتأتى هذا إلا بالرجوع إلى مباحث الفلسفة؛ والتي « تنقسم إلى ثلاثة مجالات رئيسية هي: نظرية المعرفة، والميتافيزيقا، وفلسفة العلوم» (محمود زيدان، 1977، ص.21، 22) ونظرا لتشعب كل مبحث من المباحث إلى مجالات، سنلجأ إلى المخطط التالي للتوضيح أكثر:

تنقسم بذلك الفلسفة إلى ثلاثة مباحث هي: نظرية المعرفة والتي تستشكل إمكان المعرفة، استحالتها، نظريات الإدراك واليقين... أما مبحث الميتافيزيقا فيتناول بالسؤال مبادئ العالم (علل الوجود، البرهان على الوجود، افتراض عالم معقول، الحرية، المعتقدات، العقل، الشعور، المعتقدات الأساسية الراسخة لدى الإنسان؛ كقولنا لكل سبب مُسبب...)، أما مبحث فلسفة العلوم فينقسم بتعدد واختلاف العلوم منها: فلسفة الرياضيات، فلسفة العلوم الطبيعية فلسفة التاريخ... «وتتناول فلسفة كل علم من هذه العلوم مبحثين رئيسيين؛ مبحث المناهج أو الميتودولوجيا، ومبحث المشكلات الناشئة عن تطور تلك العلوم، ويضم علم المناهج العامة دراسة القواعد العامة في أي بحث، أما المناهج الخاصة فهي دراسة لمنهج البحث في كل من تلك العلوم» (محمود زيدان، 1977، ص. 22، 23)، إذا إن فلسفة المناهج مبحث ضمن مبحث أكبر هو فلسفة العلوم، أين تدرس مناهج العلوم وقواعدها ومواضيعها، حينها تصبح الفلسفة فلسفة علمية، ويتحقق بذلك طموح الفيلسوف الإنجليزي «رسل» في أن تكون الفلسفة علمية المنهج، بحيث تبتعد عما تعودته من تأملات وخيالات لا تتفق مع الواقع» وتناقش مسائل وقضايا العلوم، وتستشكلها فلسفيا وذلك من خلال منفذ الميتودولوجيا والإبستمولوجيا.

وبذلك ينتفي الفرق بين الفلسفة والعلم: في «أن كل علم يلتزم جانبا واحدا من الكون يختصه بالبحث والدراسة، ولا يكاد يمس الجوانب الأخرى، والفلسفة في أنها تتخذ من الكون بأسره موضوعا لدراستها» (زكي نجيب محمود، أحمد أمين، 2018، ص. 15) وتصبح المقولة الأساسية هي أن كل علم يُتفلسف فيه من منظور فلسفة العلوم، وأن كل فلسفة تنطوي على جانب علمي، وهنا تختفي الحواجز والانقسامات بين الفلسفة والعلم، ويصبحا معا شريكين في المعرفة الإنسانية وقطبيها.

2/ فلسفة المناهج والمفاهيم القريبة منها:

في كتابه "مدخل إلى فلسفة العلوم" قدّم المفكر والفيلسوف المغربي "محمد عابد الجابري" الفروقات المائزة بين الميتودولوجيا والإبستمولوجيا، وفلسفة العلوم، واعتبر أن «نظرية المعرفة أعم من الإبستمولوجيا، والإبستمولوجيا أعم وأعمق من الميتودولوجيا، وإذا كانت الإبستمولوجيا تتناول بالدرس والنقد مبادئ العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد قيمتها وحصيلتها الموضوعية، فإن الميتودولوجيا تقتصر في الغالب على دراسة المناهج العلمية دراسة وصفية تحليلية لبيان مراحل عملية الكشف العلمي، وطبيعة العلاقة التي تقوم بين الفكر والواقع» (محمد عابد الجابري، 2002، ص. 22، 23) إن الإبستمولوجيا وبشهادة جل المفكرين مفهوم مُشوَّش، ولم يزل غير مضبوط بعد بحيث أن «الإشكال هو اختلاف حول معاني هذا المصطلح، فيفصل الفرنسيين بصفة عامة بين الإبستمولوجيا ونظرية المعرفة، إذا ما استثنينا بياجي وبوجي ثم إن هناك من يلج على ضرورة البحث الإبستمولوجي في المناهج العلمية وثمة من يرى عكس ذلك، أما الأنجلوساكسون فهم يقصدون بمصطلح الإبستمولوجيا نظرية المعرفة، ولا يؤكدون على علاقة الإبستمولوجيا بتاريخ العلوم وعلم المناهج» (عبد القادر بشته، 1995،

فلسفة المناهج بين الفهم وضرورة التوظيف

ص.5،6) لعل هذا الخلط بين حدود الاستيمولوجيا و علم المناهج ونظرية المعرفة خلق صعوبة تعريفها وأوجد مشكلة تحديد مواضعها، وكذا ملامحها. والسؤال الواجب طرحه في خضم هذا السياق، ما موقع الميتودولوجيا (علم المناهج) ضمن الاستيمولوجيا ونظرية المعرفة*، وفلسفة العلوم؟ قد يُفيدنا الرجوع إلى الموسوعة الفلسفية "لأندرية لالاند" في محاولة فهم وشرح المفاهيم الدائرة في فلك الميتودولوجيا (لأندرية لالاند، 2001، ص.357-1455).

جدول يوضح الفرق بين الاستيمولوجيا، الميتودولوجيا، نظرية المعرفة، وفلسفة العلوم حسب "لأندرية لالاند".

الإبستمولوجيا Épistémologie	الميتودولوجيا Méthodologie	نظرية المعرفة Théorie de la connaissance	فلسفة العلوم Philosophie des sciences
تدل على فلسفة العلوم وهي ليست فلسفة المناهج، هي الدرس النقدي لمبادئ مختلف العلوم وفرضياتها ونتائجها الرامي إلى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها ومداها الموضوعي.	فرع من المنطق، موضوعه الدرس اللاحق للمناهج والطرق ونحو أخص عادة، درس المناهج العلمية.	دراسة العلاقة القائمة بين الذات والموضوع في فعل المعرفة، تُقضي إلى تحديد قيمة العلم: «يُطلق اسم نظرية المعرفة على مجموعة تنظيرات هدفها تحديد قيمة معارفنا وحدودها».	تعبير متأخر قليلا، أظن أن أستمعمل بادئ الأمر بمعنى مجموعة دراسات أو اعتبارات تمثل درجة رفيعة من العمومية، وترد كل المعرفة البشرية إلى عدد صغير من المبادئ. شاع استعماله في فرنسا من خلال كتاب أمبير (1838).

إن الميتودولوجيا (علم المناهج)* إذا فرع من فروع المنطق* حسب تصوّر "لالاند"، وهذا ما يفضي بنا إلى قسمة المنطق إلى «المنطق الصوري Formal Logic الذي يتم به اتفاق الفكر مع نفسه،

* نظرية المعرفة: يعتبر السوفسطائيون وأفلاطون رواد البحث في نظرية المعرفة، كما اهتم الفلاسفة المحدثين بنظرية المعرفة يتضح ذلك في فلسفات ديكارت، ولوك وهيوم وكنت، كما اهتمت الفلسفة الإنجليزية المعاصرة منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم بنظرية المعرفة، ويتمثل ذلك في الهيغليين الجدد مثل توماس هل جرين، وبرادلي، وبوزانكي، والفرنسيين أمثال مايرسون، برنشفيك، وباشلار. أنظر: محمود زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2012، ص.7، 8.

* عرف علم المناهج تطورا كبيرا نتيجة لتطور أنواع المناهج واستعمالاتها وتزايد حركة البحث العلمي، إن أول من استعمل كلمة "علم المناهج" أو المنهجية هو الفيلسوف الألماني كانت، وذلك عندما قسّم المنطق إلى قسمين: مذهب المبادئ/ علم المناهج، إذا علم المناهج هو الذي يبحث في مناهج البحث العلمي والطرق العلمية التي يكتشفها ويستخدمها العلماء والباحثون للوصول إلى الحقيقة. أنظر: ماثيو جيدر: منهجية البحث، د.د، 2015، ص.77، متاح على الرابط التالي بصيغة (pdf):

14:23 2019/9/18 <https://drive.google.com/file/d/0B9x5L29xpeaaTlFrbW9kbnM4R0E/view>

والذي يسمى أحيانا (المنطق المادي Logique Formelle ، أو التطبيقي Log. Appliquée ، أو على نحو أوسع مناهج العلوم Methodology وهو المنطق الذي يتم به اتفاق الفكر مع الواقع» (محمد ثابت الفندي، 1972، ص.23) إن جعل الميتودولوجيا جزءاً من المنطق، يجعلها بذلك تختلف عن الابستمولوجيا، غير أن تفسير "روبير بلانشي" لما أورده "لاند" في « أن التفريق الذي قام به لاند بين الابستمولوجيا والميتودولوجيا يخص القرن التاسع عشر في فرنسا فحسب، ويضيف بلانشي أنه لا يمكن للابستمولوجيا أن تبحث في مبادئ العلوم وقيمتها وبُعدها الموضوعي بدون التساؤل حول قيمة وطبيعة المناهج المستعملة في كل ذلك، وهذا يعني ضرورة ربط تلك المبادئ وذلك البعد الموضوعي للعلوم بالمناهج» (عبد القادر بشته، 1995، ص.57، 58) إذا فالميتودولوجيا جوهر العلم، ويبقى مجالها بين أخذ و رد، فهناك من يعتبرها متجذرة في قلب العمل الابستمولوجي ومنهم يعتبرونها أكثر أهمية من المفاهيم العلمية، وعلى هذا الأساس يمكن التمييز بين رأيين نوضحهما في المخطط التالي (عبد القادر بشته، 1995، ص.59، 60):



نصل إلى القول أن الميتودولوجيا هي مزيج من المواقف المعرفية (الإبستمية) ومناهج الاستقصاء والبحث، ومناهج البحث التي يمكن أن نسميها تقنيات، من خلال الممارسات التي تنقل المتطلبات المعرفية اللازمة للحصول على نتائج يقينية للابستمولوجيا المختارة (Joseph T. , 2008 , P.5), (Tennis) ، وبالتالي ترتبط الميتودولوجيا بالابستمولوجيا وتقدم لها خدماتها المعرفية للوصول إلى الهدف المطلوب.

* المنطق: في المنطق ندرس القواعد والتقنيات التي تسمح لنا بالتمييز بين التفكير الصحيح والخطأ. نظرا لوجود أنواع مختلفة من التفكير، ونظرا لإمكانية تطوير مناهج عديدة لتقييم هذه الأنواع، وبما أنه هناك جهات نظر حول ما يشكل التفكير الصحيح، هناك العديد من المقاربات المنطقية. أنظر:

Matthew Knachel , Fundamental Methods of logic, University of Wisconsin Milwaukee, UWM Digital Commons , Philosophy Faculty Books, 2017 , p.1

ويرجع الفرق بين قولنا فلسفة المناهج (الميتودولوجيا) وبين المناهج الفلسفية: هو أن الأول مبحث مباحث فلسفة العلوم أما المناهج الفلسفية هي تلك المناهج التي يوظفها الفيلسوف لمعالجة قضية ما وقد يرتبط المنهج بمذهب الفيلسوف، وقد لا يرتبط به.

وفي تقسيم العلماء والفلاسفة للميتودولوجيا، فإنها -وكما حددنا ذلك سابقا- تتناول بالبحث المناهج العامة والمناهج الخاصة، «ويضم علم المناهج العامة دراسة للقواعد العامة في أي بحث كقواعد الاستنباط والاستقراء، وهما جزء مما يتناوله علم المنطق، أما المناهج الخاصة فهي دراسة لمنهج البحث في كل من تلك العلوم» (محمود زيدان، 1977، ص.22) ولعل أهم تلك المناهج الفلسفية: «المنهج الفرضي، ويسمى المنهج الجدلي، والتحليل، ويعد أفلاطون أول من استخدمه، المنهج التمثيلي ويعتبر أرسطو أول من استخدمه، منهج الشك واليقين الديكارتي، منهج الظواهر لإدموند هوسرل، منهج التحليل عند الكثير من الفلاسفة الإنجليز مثل جورج مور، برتراند رسل» (محمود زيدان، 1977، ص.27-119) إذا ليس للفلسفة منهج بعينه بل لها مناهج عديدة، تطورت وغيّرت ملامحها بحسب القضايا المطروحة، على اعتبار أن هذه المناهج -التي حددناها الآن- وحسب "كولنجوود" أصبحت ضارة لا نافعة، بل هي نفايات يجب التخلص منها لأنها هي من تعوق تطوّر الفلسفة يقول: «المناهج القديمة قد ضُرب بها عرض الحائط وأصبح كل فرد حرا في ابتكار منهج جديد وتلك هي الأوضاع الطبيعية والملائمة لعصر تتشكل فيه حركات فلسفية جديدة» (ر.ج. كولنجوود، 2001، ص.149) وبتطوير المناهج الفلسفية في كل مرة تتمكن الفلسفة من الخروج من أزمتها، على اعتبار أن المنهج هو محرك الفكر وديناميكيته في تحقيق الغايات التي نصبو إليها.

3/ الأزمة المنهجية في العلوم الاجتماعية والعودة إلى الفلسفة:

قال مرة عالم الطبيعيات (بيكون) «إن المعرفة قوة، ولكن أي معرفة يقصدها؟ إنها المعرفة التي استمدت قوتها من توظيفها لمناهج البحث العلمي» (علي معمر عبد المؤمن، 2008، ص.7)، فلم يعد البحث عن المعرفة العلمية عملية عشوائية، بل أصبح مهمة تقوم وترتكز على عدة اعتبارات وضوابط ولعل أهمها المنهج، لذا تحتل المناهج وفي كافة العلوم سواء (الطبيعية أو الإنسانية) مكانة هامة لكونها «الوسيلة التي تمكّننا من الوصول عن طريقها إلى الحقيقة ومحاولة اختبارها للتأكد من صلاحيتها في مواقف أخرى وتعميمها لنصل إلى ما نُطلق عليه اصطلاحاً نظرية» (جمال زكي السيد، 1962، ص.8) يرى جل الباحثين أن أزمة العلوم الاجتماعية أزمة منهج بالأساس، فبالرغم من وجود مناهج وعلى كثرتها لم تنتشل العلوم الاجتماعية من النسبية ومن فخ الذاتية، ولعل هذا مردّه إلى سعي هذه العلوم للحاق بركب العلوم الطبيعية في صرامتها ودقتها وذلك بإتباع نفس المنهج التجريبي.

إن نزاع الخصوصية العلمية عن الظواهر الاجتماعية، لم يقدم حلولاً لها، ولم يسهم في تطوّرهما؛ إذ بالرغم من توظيف خطوات المنهج التجريبي (من ملاحظة، صياغة الفروض، والتجريب)، إلا أن النتائج

كانت عكس التوقعات، حيث تعمّقت الهوة بينها وبين العلوم الطبيعية أو التجريبية، وصرنا نتحدث عن علوم كثيرة المناهج قليلة أو عديمة النتائج، وقد ترجع صعوبة تطبيق المنهج التجريبي على العلوم الاجتماعية « لتعقيد الظواهر الاجتماعية لأن الإنسان هو محورها، وعدم القدرة على استعمال الطريقة المخبرية فلا نستطيع وضع الظواهر الاجتماعية تحت ظروف قابلة للضبط والرقابة كما في العلوم الطبيعية، وفقدان التجانس في العلوم الاجتماعية والإنسانية، إذ للظواهر شخصيتها المنفردة وغير المتكررة، وصعوبة دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية دراسة موضوعية بعيدة عن الأهواء» (ديبولد فان دالين، 1997، ص. 76-80).

هذه الصعوبات وغيرها حالت دون أن يكون للعلوم الاجتماعية مستقبل مشرق مثل العلوم الطبيعية، يقول زكي نجيب محمود في هذا الشأن: «إن الفرق بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية هو فرق في تعقد التفصيلات وكثرتها، مما يجعل مواقفها أعسر تناولا من المواقف الطبيعية الأخرى، لكن ذلك يجعل تطبيق المنهج على العلوم الإنسانية أكثر صعوبة، ولا يجعله من الناحية المنطقية مستحيلا» (زكي نجيب محمود، 1961، ص. 303)، إذا فالمقاربة التي نقترحها والتي يمكن أن تفتح أمامنا آفاق تجاوز أزمة العلوم الاجتماعية منهجيا، هي ضرورة العودة إلى الفلسفة وتحديدًا في شقها الإستمولوجي والميتودولوجي خاصة وأن « بعض المشتغلين بتلك العلوم وكذلك بعض فلاسفة العلم يقولون إن عدم النجاح النسبي لتلك المجالات مقارنة بالعلوم الطبيعية يرجع إلى الفشل في تحديد أو تطبيق المناهج التي نجحت في العلوم الطبيعية، وبالنسبة لدارسي العلوم الاجتماعية، فإن لفلسفة العلوم دورا توجيهيا واضحا» (أليكس روزنبرج، 2011، ص. 21، 22) إذ أن المهمة التي تضطلع بها الفلسفة من خلال الاستيمولوجيا والميتودولوجيا متمحورة في مساهمة وتتبع مراحل البحث في العلوم الاجتماعية، والتوقف عند كل مرحلة لاستشكال الغاية والهدف منها، كما تسعى لمساءلة نقدية للمناهج الموظفة والنتائج المتحصلة عليها، وتسعى ووفقا لمحور تفاعلي إلى ربط هذا العلم بغيره من العلوم، على اعتبار أن الفلسفة «مطلب أساسي لفهم تاريخ وسوسيولوجيا العلم والدراسات العلمية الأخرى، ومناهجها وإنجازاتها وإمكانياتها، كونها تتعامل مع فئتين من الأسئلة: أولى الأسئلة التي لا يستطيع العالم الفيزيائي، البيولوجي، والاجتماعي والسلوكي الإجابة عنها، وربما لن يتمكن، والثانية تدور حول السبب في عدم تمكن العلوم من الإجابة عن الأسئلة الأولى» (أليكس روزنبرج، 2011، ص. 12-16) وعليه فالفلسفة تطرح أسئلة يتجاهلها العلم، أو لا يتفطن إليها أساسا؛ كتلك المرتبطة بقيمة العلم وهل هو خير أم شر؟ ومدى نفعه لنا، إيجابياته وسلبياته، إنها تناقش سؤال الكيفية، ومنه نستطيع أن نميز بين نوعين من الأسئلة، أسئلة علمية وأخرى حول العلم والتي تعد من نصيب الفلسفة ومباحثها وما يبرر هذا كون « الحدود الفاصلة بين الفلسفة والعلوم غير ثابتة، كما أن الفلسفة تشبه العلم في أنها تُخاطب العقل البشري ولا تتميز الأفكار العلمية عن الأفكار الفلسفية إلا من حيث أنها مدعمة بحجج أقوى مما يُقدّمه الفلاسفة» (الطاهر وعزيز، 1990، ص. 12)، إن العلم في معناه الواسع فلسفة، ولو لم يُقم الفلاسفة أرضية الأسئلة الكبرى

والإستفهامات الفضولية منذ فجر التاريخ، لما لحقنا نظرياتهم، ولما تطوّرت وصارت على ما عليه الآن علما، وهذا ما أكدّه "أوجيست كونت" وقانون الحالات الثلاث.

لقد أفرز إلتقاء الفلسفة بغيرها من العلوم الاجتماعية استحداث ما يمكن تسميته بفلسفة العلوم الاجتماعية والتي تدرس «منطق ومنهج العلوم الاجتماعية، وأسئلتها المركزية تتضمن: ما هي معايير التفسير الاجتماعي الجيد؟ كيف تتميز العلوم الاجتماعية عن العلوم الطبيعية؟ هل هناك منهج خاص بالعلوم الاجتماعية؟ ما هي الإجراءات التجريبية التي يتم من خلالها تقييم العلوم الاجتماعية؟ هل يمكن اختزال القوانين الاجتماعية؟ هل هناك علاقة سببية بين الظواهر الاجتماعية؟ ما دور النظرية في التفسير الاجتماعي؟ تحاول فلسفة العلوم الاجتماعية تقديم تأويلات للعلوم الاجتماعية وتجب عن هذه الأسئلة» (Robert Audi, 1999, P.704) الغائبة أو المُغَيَّبة على صعيد اهتمام العلوم الاجتماعية.

والحال أن فلسفة العلوم «تبنى القول بأن التقدّم لا يكون بزيادة حجم التجاوز بمعنى أن السابق يتواصل مع الجديد، إنه مراجعة مستمرة للمضامين بالتعمق والتشطيب هذه المراجعة وهذا التشطيب هو ما يُعبّر عنه باشلار بالقطيعة الإبيستيمولوجية» (جورج كانغيلام، 2007، ص.16-17) قطيعة تفضي بتجاوز النموذج القديم والنظريات التي لم تعد تفسّر شيئا بأخرى جديدة تطرحها الإبيستيمولوجيا من خلال بسط جوانب التجديد، وهذا ما دعا إليه "غاستون باشلار" و كذا "كارل بوبر" الذي يعتبر «النظريات العلمية، التجريبية وغير التجريبية منها على حد سواء، ليست سوى مجموعة من الفرضيات والتخمينات، يقع على عاتق التجربة، على الوقائع المادية والقضايا المنطقية فحصها وتمحيصها معززة لها تارة في حال صمودها أمامها أو في حال دحضها (...) النظرية تبقى قائمة حية طالما لم تُنقض بعد فهي ليست أزلية» إن التصحيح يأتي إذا بفضل العدة الميتودولوجية التي تقترح معالجة للمناهج، والابستيمولوجية لنقد فروض ومبادئ ونتائج النظريات.

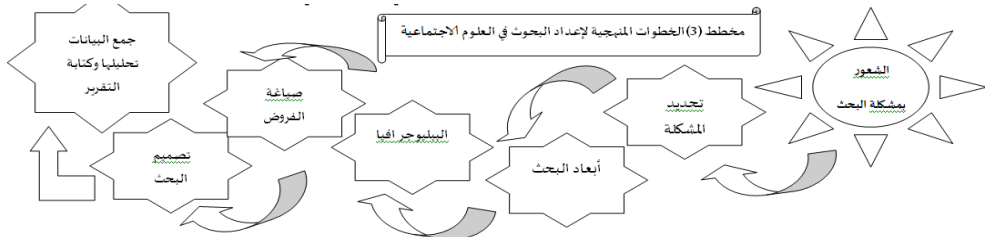
4/الخطوات المنهجية لإعداد البحوث في العلوم الاجتماعية:

سنحدد في هذا المبحث المراحل المنهجية التي يمر عبرها البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، لنتمكن لاحقا وفي المبحث الخامس من توضيح آفاق توظيف الميتودولوجيا، وعليه هناك عدة خطوات مرحلية تنطلق أساسا من «الشعور بالمشكلة: حيث تنبع مشكلة البحث من شعور الباحث بحيرة أو غموض تجاه موضوع معين، فمشكلة البحث هي موضوع الدراسة» (ديبولد فان دالين، 1997، ص.256) إن الشعور بمشكلة البحث يُعد الدافع الأساس لاختيار مشكلة ما كموضوع للدراسة، وإحساسه العلمي بمشكلة دون أخرى يحفّزه للبحث أكثر، وقد يدخل الشعور بالمشكلة البحثية ضمن تساؤلات فلسفة اختيار الموضوع، وهنا تبرز شخصية الباحث رغبته اهتمامه، ثانيا «تحديد مشكلة البحث: يجب تحديد «مشكلات ومجالات وأفكار البحث العلمي، وهي المعلومات التي يُساهم تحديدها في بلورة وتوضيح المعالم الرئيسية لخطة البحث وتعني أيضا تحديدها تحديدا دقيقا مميزا» (سعيد لويّزة، 2016، ص.57) إن

ضبط مشكلة ومجال البحث المراد انجازه لهو أهم خطوة لأن تحديد مشكلة البحث هو بداية البحث، ويترتب عليه باقي العمليات الأخرى.

ثالثا على الباحث بعد تحديده لمشكلته البحثية الانتقال « إلى تحديد أبعاد البحث وأهدافه: بحيث يقوم الباحث بتحديد أبعاد دراسته والأهداف التي يأمل الوصول إليها عند انتهاء دراسته، والغاية وأهمية البحث ودرجة تعمقه في تحليل المشكلة» (فوزي غرابيه وآخرون، 1987، ص.22) تعد هذه الخطوة جسرا موصلا للمرحلة الرابعة ألا وهي مرحلة استطلاع الدراسات السابقة، والتي تُسمى عادة بالبليوجرافيا « حيث تجمع البليوجرافيا كل الأعمال المتصلة بموضوع معين، وبالتالي فإنها تختصر الوقت الذي يبذله الباحثون في التعرف على ما نُشر في مجال دراستهم (...) قد تكون كتب أو دوريات أو مقالات أو بطاقات أو أفلام أو شرائط أو مخطوطات» (أحمد بدر، 2000، ص.208-212) وتفيد هذه المرحلة الباحث في أنه تمنعه أن يكرر ما قد قيل، ويصحح ما قد وقع فيه غيره ممن تناول الموضوع ذاته.

خامسا مرحلة «صياغة الفروض: إذ يمكن للباحث أن يضع الفرضية قبل أن يقوم بملاحظاته أو أثناء القيام بهذه الملاحظات، وصياغة الفروض تتوقف بالدرجة الأولى على طبيعة المشكلة المدروسة ومدى فهم الباحث لهذه المشكلة، والفرضية تفسير مؤقت يوضح الأحداث أو العوامل التي يحاول الباحث أن يفهمها» (عبد الله محمد الشريف، 1996، ص.38) إنها بذلك تفسير لا يزال بعيدا عن الحقيقة، وقد يستنبط الباحث فرضياته من الملاحظة، أو الدراسات السابقة، أو من خبرته... إلخ سادسا وهي مرحلة «تصميم البحث: وهذه المرحلة تشمل الخطوات التالية: تحديد منهج البحث، تحديد مصدر البيانات اختيار وسيلة جمع البيانات» (فوزي غرابيه وآخرون، 1987، ص.24) أين يعتمد الباحث هنا بتحديد منهج دراسته المتوافق مع موضوع مشكلته البحثية وأكثر هذه المناهج شيوعا في العلوم الاجتماعية «المنهج الوصفي ومنهج المسح الاجتماعي» (فوزي غرابيه وآخرون، 1987، ص.25) وفي خطوة أخرى يضبط مجتمع دراسته والعينة، وكذا وسيلة جمع البيانات (من ملاحظة، ومقابلة، استبيان، الوثائق...) وفي المرحلة السابعة يشتغل الباحث فيها على أربع خطوات أين يقوم بـ «جمع البيانات: بكل علمية وموضوعية فيسجل الملاحظات ويُجري المقابلات ويُوزّع الاستبيانات، بعد جمع البيانات تأتي مرحلة تصنيف هذه البيانات وتحليلها، وتفسيرها ثم عرضها عن طريق جداول ورسومات، لينتهي البحث بكتابة تقرير: بحيث يشمل كافة جوانبه، ويبرز المراحل التي مر بها» ويوضع التقرير عادة في فصول متوازنة كما وكيفا، مقسمة إلى مباحث، ويمكن تمثيل هذه الخطوات في الشكل التالي:



5/المكاسب المعرفية لتوظيف فلسفة المناهج في العلوم الاجتماعية:

إن توظيف فلسفة المناهج (الميتودولوجيا) في حقل العلوم الاجتماعية يعد جانباً تجديدياً بامتياز، يروم بلوغ الموضوعية التي لطالما نشدتها العلوم الاجتماعية، والتي لم يستطع تحقيقها المنهج التجريبي، إن الحل إذا يكمن وبحسب الباحث "عبد الغني عماد" في أن تستلهم هذه العلوم من الفلسفة من خلال المزوجة بين التفكير الاستقرائي والاستنباطي «التفكير الاستقرائي يُكمل به التفكير الاستنباطي، ففي الوقت الذي يعتمد فيه الاستنباط على قضايا وبديهيات ومسلمات ليخرج منها بنتائج، يعتمد الاستقراء على جمع الأدلة والبراهين العلمية التي تساعد على إصدار تعميمات محتملة الصدق والثبات» (عبد الغني عماد، 2002، ص.11) إن الإستعانة بالآليات الميتودولوجية كالأستقراء والتحليل يمكننا من إعطاء الصبغة العلمية على نظريات في العلوم الاجتماعية، إذ «تمتلك الفلسفة التقنيات وتوظف مفاهيم جديدة لدراسة الإنسان، كما تطرح أسئلة كبرى ومفاهيم حول فلسفة العلوم الاجتماعية بمنهجية جديدة، فقد تغذت العلوم الاجتماعية بفضل الإسهامات الفلسفية، (...) كما تعتمد الفلسفة على تحليل كيانات وكميات العالم الاجتماعي بجوانب متنوعة: واقعه، طبيعة المعرفة، العقل، القضايا، الحقيقة ومنطق الظواهر المجردة» (Mohammad Nashir Uddin, Mohammad . Hamiduzzaman, 2009, P.1)

إن التقسيم الجزافي الذي تم بموجبه تحديد علمين؛ علوم طبيعية وأخرى إنسانية، لم يزد هذه العلوم أو تلك إلا بعداً وتشردماً عن المعرفة بوصفها نشاطاً بشرياً، تقول "نوال السعداوي" في هذا الشأن: «من أهم العقبات أمام الباحثين والباحثات في أي مجال من العلوم الطبيعية أو الإنسانية، هو هذا الفصل الذي نسميه علوماً طبيعية (كالطب، الفلك، الفيزياء الكيمياء وغيرها) وبين ما نسميه علوماً إنسانية (كالدين والفلسفة والتاريخ والأدب وغيرها)، لم تعد الرؤية شاملة للكيان الكلي للإنسان» (نوال السعداوي، هبة رؤوف، 2000، ص.15) وبالتالي لم نعد نستطيع طرح أسئلة خوفاً من أن تكون خارج اشتغال التخصص أو مجال البحث، في حين قد يكون ذاك التخصص أو الفرع المعرفي يحوي نتائج أو نظريات بتوظيفها تتضح الرؤى والتصورات، إن العودة إلى الفلسفة وتوظيف كافة مباحثها وخاصة الاستيمولوجيا والميتودولوجيا يعزز مكاسب تطوّر العلوم، إذ أن «دور فيلسوف العلم، أو عالم المناهج مناقشة الفروض التي تقوم عليها العلوم المختلفة، ويوازن بينها ويضعها موضع الفحص والاختبار، مستنداً في ذلك إلى إلمام كافٍ بالعلوم التي يوازن بينها (...) إن العلماء لا يمكنهم في مسائل الأسس والمناهج أن يستغنوا عن النقد الفلسفي» (عبود عبد الله العسكري، 2004، ص.8،9) وبالتالي تقترح الميتودولوجيا برادغيمات جديدة توجه البحث العلمي، تنقده، كما تحترم خصوصية الظاهرة الاجتماعية والتي تتميز بكونها نوعية معيارية وتضعها في سياق فكري خاص، إذا فالطرح الفلسفي في بعده الإستيمولوجي

والميتودولوجي يتعامل مع نتائج البحوث ونظرياتها بشكية وريب ولا يعتبرها حقائق مطلقة، ويربطها غالبا في كلالنية كبرى تتواصل مع علوم وفروع معرفية أخرى.

إن بعض المسائل والقضايا السوسيولوجية المرتبطة مثلا بالقيم والثقافة والتي توظف منهج تحليل المضمون توجب بل تلزم الباحث أن يكون ذا توجه وبعد فلسفي، وقد دعا إلى ذلك فلاسفة وعلماء اجتماع كثيرين من أمثال (دلتاي، هوسرل، ركيرت) حيث لاحظوا عقم المنهج التجريبي وقصوره عند توظيفه في معالجة المسائل الإنسانية والاجتماعية، كما دعا « بيتريم سوركين حين درس التغيرات الثقافية والاجتماعية في أوروبا الغربية على طول تاريخها، إلى الإعتماد على الأعمال الفنية والموسيقى والآداب والفلسفة في ضوء ما تنطوي عليه هذه الأعمال من دلالات ومعان» (عبد الغني عماد، 2002، ص.111) للوصول إلى بعض المؤشرات التي قد تفيدنا حتما في فهم الوقائع الاجتماعية وجوانبها.

إنه ومن المؤكد وحسب "فيليب فرانك" أننا « وكلما زاد تعمقنا في العلوم الحقيقية، كلما زادت الصلة وخصوصا بين العلم والفلسفة، وفلسفة العلم هي الحلقة المفقودة التي يجب أن نبحت عنها، إن ما يهدد المدنية الحاضرة من خطر كبير، الهوة العميقة التي تفصل بين تقدمنا العلمي السريع، وبين فشلنا في تفهم المشاكل الإنسانية» (فيليب فرانك، 1983، ص.6-8) إن الرؤية الاستيمولوجية التي يقدمها "فيليب فرانك" متمثلة أساسا في إعادة وصل الإنسان بالعلوم الطبيعية، وكذا توظيف فلسفة العلوم كآلية نقيّم بها التراث الفكري البشري ككل، على اعتبار أن «العلوم الطبيعية تشق مبادئها من فلسفة الطبيعة، والتي تعتمد بدورها على الميتافيزياء، وتعتمد العلوم الاجتماعية بدورها على الميتافيزياء، هناك إذا مبادئ فلسفية تشق منها البيانات العلمية سواء الاجتماعية أو الطبيعية» (فيليب فرانك، 1983، ص.9) إذا تقترح الفلسفة ومباحثها مبادئ وبيانات توفر للعلوم الاجتماعية والطبيعية أرضيات للبحث والاستشكال.

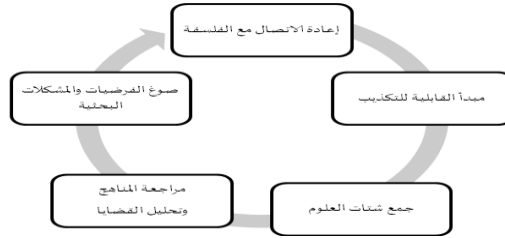
ومن بين المكاسب المعرفية لتوظيف فلسفة المناهج إلى جانب الاستفادة من آليات النقد والتحليل والمراجعة والاستشكال يقترح "كارل بوبر" «إمكانية التكذيب Falsification الذي عنى به أنه يكفي أن توجد ظاهرة واحدة معاكسة للنظرية (مكذبة لها) حتى يكون من الواجب إسقاطها» (توماس. س. كون، 2007، ص.15-342) إن نسبية العلوم الطبيعية ونسبية نتائجها خاصة مع ظهور مبادئ كمبدأ اللاتعين لهيزنبرغ، وتراجع اليقين والثقة في الاستقراء، يجعلنا نعيد ونراجع كافة النظريات التي بُنيت على أسس ومنهجيات تقتردي بالعلوم التجريبية في كونها مثال الدقة والصرامة، ولعل مبدأ "كارل بوبر" المُفضي إلى «القابلية للاختبار والتكذيب التجريبي، والمنهج الفرضي الاستنباطي هما التمثيل المنطقي المنهجي للإستيمولوجيا العلمية المعاصرة، والتي تُخرج فعلا من مشكلة العلوم الإنسانية، فيمكن حل مشكلة العلوم الإنسانية على ضوء الخاصة المنطقية للعلوم الطبيعية، وتساقها المنهجي» (يمنى طريف الخولي، 2014، ص.113) إن استيعاب الإستيمولوجيا وتوظيفها في العلوم الاجتماعية يضمن تجاوز تخلفها وأزماتها.

كما أن الهوة « بين العلوم الطبيعية والإنسانية تلتئم تماما من منظور الإستمولوجيا العلمية المعاصرة بفضل مبدئها اللاحتي (...) لقد قال المنطقي الميثودولوجي بريثويت: "إن التقدم الحثيث في الفيزياء قد يعطي شحنة قوية لعلماء النفس كي يضعوا تأملات جريئة، لأن النظريات الفيزيائية السائدة تدور حول أشياء لا يمكن تعريفها في حدود خبرتنا، لذلك أشعر بأن علماء النفس يجب أن تُتاح أمامهم حرية كبيرة للعمل» (يمنى طريف الخولي، 2014، ص.121) ولعل الأمثلة كثيرة في عديد الآراء والتصورات المعاصرة التي زاوجت ومازجت بين فروع وتجاوزت التصورات المادية والآلية «إذ عرف علم النفس تجاوزا للسلوكية عندما ظهر علم النفس المعرفي وذلك من خلال التمثل الجيد للإستمولوجيا» (يمنى طريف الخولي، 2014، ص.121)، فبعض الفلاسفة مثل « كوري Koyer، وباشلار Bachelard وبوبر Popper يتعاملون من داخل الفلسفة الإيجابية مع قليل من التغيير، فبالنسبة لألكسندر كوري الطبيعة لا تفرض حقيقتها من تلقاء نفسها، والقوانين العلمية لا تعكس فقط الطبيعة، فإن الهياكل الأساسية والأنواع العامة للفكر الإنساني تفرض بصماتها على الملاحظات والقوانين» (دومينيك فينك، 2000، ص.21) نحن في عصر لا ننتظر فيه من علوم الطبيعة إجابات نهائية لأسئلتنا، بل إن الفكر البشري كله يتشارك في ذلك (فالتقنية والتكنولوجيا والفنون وحتى الإيديولوجيات) تصنع معارفنا.

كما تأتي مهمة الفلسفة أو الإستمولوجيا بصورة أدق في تحليل القضايا العلمية التي تطرحها العلوم وتعمل على توضيحها توضيحا منطقيا فتصوب الخاطئ منها وتُجيد بالصائب، إذ أن مهمة الإستمولوجيا إذا «أن تُفكر في مشاكل العلم الحالية، من خلال إبراز قيم العلم، وتعيد دراسة قيمة العلم، وعلمها أيضا أن تدرس التوجيه الحقيقي للثقافة العلمية» (محمد وقيدي، 1983، ص.17) فالإضاءة الإستمولوجية هي من تُنير القضايا والمشاكلات التي تعيشها العلوم والتي تقف حجر عثرة أمام تطورها وتقدمها، ومثالنا هنا (أزمة المناهج والنتائج في العلوم الاجتماعية).

بالإضافة إلى أن الإستمولوجيا والميثودولوجيا تعملان على تجميع شتات الفروع العلمية (الاجتماعية والطبيعية) كافة وتقدّم الرؤى والتصورات التي يمكن من خلالها أن تراجع هذه العلوم مبادئها وأسسها ونظرياتها، وكذا مستويات اليقين فيها، وجوانب القصور والنقص في مناهجها وذلك من خلال تأكيدها على النقد الإستمعي واستثمارها في المناهج التي أفرزتها الفلسفة كالفيمينولوجيا وإثنوميثودولوجيا ونتيجة هذا النقلة فقد طرأ «في السنوات القليلة الماضية تحولا على توجهات الفكر الاجتماعي الذي راح يبحث عن الأسباب الحقيقية وراء هزيمة الدراسات الاجتماعية الأمبريقية التي حذت حذو العلوم الطبيعية» (شحاتة صيام، 2009، ص.234) وذلك بزيادة فاعلية التفسير والفهم والتأويل، على اعتبار أن هذه الآليات تمكننا من توصيف واقع حياتنا الاجتماعي، فالتأويلية ستتجاوز عيوب النظريات الاجتماعية السابقة عنها، وتعمل على تحليل السلوكيات الاجتماعية وتفسيرها، وهذا ما قام به (جيدنز في صياغته للتأويلية المزدوجة)، علينا إذا وكما ذهب في ذلك الباحث "صلاح قنصوة" أن نعيد

النظر في علاقة العلوم الاجتماعية والإنسانية وصلتها بالفلسفة « وعلينا أن نعيد خطوط الإتصال بالفلسفة حيث يظل لها دورها المهم الذي تؤديه للعلوم الإنسانية كإطارات مرجعية يستمد منها الباحث مخططاته التصورية، وبذلك تدخل شريكا في صوغ مشكلات البحث » (صلاح قنصوة، 2007، ص.400) بالمعنى النقدي، وهذه هي وظيفة الإبيستيمولوجيا وتعيين المنهج المناسب وهذا من اختصاص الميتودولوجيا، كما يمكننا في العلوم الاجتماعية أن « نستخدم منهجا يمكن تسميته بمنهج التركيب المنطقي أو العقلي أو ما نطلق عليه (بالمنهج الصفري Zero Method) ويعني تركيب نماذج بناءً على افتراضات معقولة والاستعانة بالمنهج الإحصائية » (كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، 1959 ص.170، 171) تجاوزا للفروق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية كل هذا تحت الغطاء الميتودولوجي.



الخاتمة:

وفي ضوء ما تقدّم، يمكن أن نؤكد أن العلوم الاجتماعية في حاجة ماسة للاستعانة بفلسفة المناهج (الميتودولوجيا) ونظرية المعرفة (الإبيستيمولوجيا) تجاوزا للأزمات التي وقعت فيها سواء كانت هذه الأزمات (نظرية، أو منهجية، أو مرتبطة بالمفاهيم).

وعليه ففلسفة المناهج ليست ترفاً فكرياً، بل مجال فكري خصب يُوفّر آليات منهجية، ونقدية تعمل من خلالها –الميتودولوجيا- على إعادة تقييم النماذج والمناهج العلمية، كما تدخل فلسفة المناهج في فلسفة اختيار الموضوع، وصياغة الفروض، كما نستعير منها مبادئ عدة كمبدأ القابلية للتكذيب، والفروض الاستنباطية والتمييز بين ما هو علمي واقعي يمكن دراسته وما هو آراء وهمية واعتقادات لا يمكن استشكالها ومباحثتها.

كما عملت الإبيستيمولوجيا ومنذ عقود على إعادة جمع شتات العلوم وذلك من خلال فروع فلسفات العلم ومباحثها، هذا ما أفرز التخصصات البينية والأطروحات الفلسفية العلمية.

وإلى جانب توظيف فلسفة المناهج في مقاربات العلوم الاجتماعية والإنسانية فهي فضلاً عن هذا تسعى إلى متابعة تطور الفكر العلمي في كل صوره وتقدمه فتدرس مناهجه وتحلل وتنقد نتائجها.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

1. أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، مصر، ط1، 2000.
2. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، لبنان، ط2، 2001.
3. توماس كون: بُنية الثورات العلمية، تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2007.
4. جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.
5. جمال زكي: السيد ياسين، أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، مصر، 1962.
6. جورج كانغيلام: دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، تر: محمد بن ساسي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1،
7. ديوبولد فان دالين: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، تر: محمد نوفل وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1997.
8. دومنيك فينك: علم اجتماع العلوم، تر: ماجدة أباطة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.
9. ر.ج. كولنجوود: مقال في المنهج الفلسفي، تر: فاطمة إسماعيل، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2001.
10. زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1961، ج2،
11. زكي نجيب محمود: أحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي، مصر، ط1، 2018.
12. ستار جبر حمود الاعرجي: مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، سلسلة بيت الحكمة العراقي، العراق، ط1، 2008.
13. سعدي لويوزة: أسباب اختيار الموضوع (مشكلة البحث) في علم الاجتماع، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، ع16، جوان 2016.
14. شحاتة صيام: النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009.
15. صلاح قنصوة: الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار التنوير للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2007.
16. الطاهر وعزيز: المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1990.
17. عبد القادر بشتة: الإبيستيمولوجيا مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية، دار الطليعة، لبنان، ط1، 1995.
18. عبد الغني عماد: البحث الاجتماعي، منهجيته، مراحل، تقنياته، منشورات جروس برس، لبنان، ط1، 2002.
19. عبد الله محمد الشريف: مناهج البحث العلمي، دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية، مكتبة الشُعاع للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1996.
20. عبود عبد الله العسكري: منهجية البحث في العلوم الإنسانية، دار النمر، سوريا، ط2، 2004.
21. علي معمر عبد المؤمن: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية الأساسيات والتقنيات والأساليب، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط1، 2008.
22. فوزي غرابيه وآخرون: أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجامعة الأردنية، الأردن، ط1، 1987.
23. فيليب فرانك: فلسفة العلم الصلة بين العلم والفلسفة، تر: علي علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1983.
24. كارل بوبر: عقم المذهب التاريخي، تر: عبد الحميد صبرة، دار المعارف، مصر، 1959.
25. ليكس روزنبرج: فلسفة العلم مقدمة معاصرة، تر: أحمد عبد الله السماحي، فتح الله شيخ، المشروع القومي للترجمة، مصر، ط1، 2011.
26. ماثيو جيدير: منهجية البحث، د.د، 2015، ص77، متاح على الرابط التالي بصيغة (pdf):
<https://drive.google.com/file/d/0B9x5L29xpeaaTlFrbW9kbnM4R0E/view>
27. مادلين غراويتز: مناهج العلوم الاجتماعية الكتاب الثاني منطق البحث في العلوم الاجتماعية، تر: سام عمار، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، طباعة: مطبعة طربين، سوريا، ط1، 1993.
28. محمد ثابت الفندي: أصول المنطق الرياضي (لوجستيقا Logistic)، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 1972.
29. محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 2002.
30. محمد علي أبو الريان، عباس محمد حسن سليمان: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، ط1، مصر، 2015.
31. محمود زيدان: مناهج البحث الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1977.
32. محمود زيدان: نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلسفة الغرب المعاصرين، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2012.

33. محمد وقيدى: ماهي الإبيستيمولوجيا؟، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1983،
34. مورييس أنجريس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية، تر: بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، سعيد سبعون، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006،
35. نوال السعداوي: هبة رؤوف عزت، المرأة والدين والأخلاق، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 2000،
36. يمينى طريف الخولي: مشكلة العلوم الإنسانية تقنياتها وإمكانية حلها، مؤسسة هنداوي، مصر، 2014،
37. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي، مصر، ط1، 2014،

المراجع الأجنبية:

1. Joseph T. Tennis: Epistemology, Theory, and Methodology in Knowledge Organization: Toward a Classification, Metatheory, and Research Framework, The Information School of the University of Washington, (2008). In Knowledge Organization. 35(2/3): 102-112
2. Matthew Knachel : Fundamental Methods of logic, University of Wisconsin Milwaukee, UWM Digital Commons , Philosophy Faculty Books, 2017
3. Mohammad Nashir Uddin, Mohammad Hamiduzzaman: The Philosophy of Science in Social Research, Uluslararası Sosyal Aral tirmalar Dergisi The Journal of International Social Research Volume 2/6 Winter 2009,
4. Paul Foulque: dictionnaire de la langue philosophique, PUF, Paris, 1^{er} ed, 1962
5. pythagoras and his theorem, pannelli pitagora inglese.doc, on:
https://php.math.unifi.it/archimede/archimede/traduzioni-multilingue/pitagora/pannelli_inglese.pdf
6. Ridiculum acri: La petite Encyclopédie, ou dictionnaire des philosophes, Jean Gasbeck Imprimeur Libraire
7. Robert Audi: The Cambridge dictionary of philosophy, second edition, Cambridge University Press, 2nd Ed, United Kingdom, 1999.